مهنا القرار متفقدا ابا للهو والخلع مخول العقار موفورا لحاشية مخلا بيني وبين اصلاح معادي الى ان رد الله على
السلطان امير المسلمين ابي عبد الله بن امير المسلمين ابي الحجاج ملكه وصير اليه حقه فطالبني بوعد ضربته
في القدوم عليه بولاء احكمه ولم يوسعني عذرا ولا فسح في الترك مجالا فقدمت عليه بولدي وقد شابا بالحصر
رهينة مذموم ونغص مرة اللقاء بعدي على حال من التقشف والزهد فيما بيديه وعزف عن العلم في ملكه وزهد
في رفده حسبما قلت من بعض المقطوعات • قالوا الخدمة دعاك محمد • فانفتها وزهدت في التنويه
فاجبتهم انا والمهيمن كاره • في خدمة المولى يحب فيه • عاهدت الله على ذلك وشرحت صدري الى الوفاء
وجنحت الى الانفصال لبيت الله الحرام نشيدة املي ومرمى نيتي وعملي فعلق بي وخرج لي عن الضرورة واراني ان
مواز دنه ابن القرب ورد كنى الى عهد خطه فسح لعاميين امد الثواء واقتدى بشعيب صلوات الله عليه في طلب
على تلك النسبة واشهد من حضر من العلية ثم رمى الى بعد ذلك بمقاليد رايه وحكم عقلي في اختيارات عقله
وغلى من جفاء بحله وحشا في وجوه شهوده تراب زجري ووقف القبول على وعظي وصرف هواي في التحول ناره
وتصدي واعترف بقبول نصحي فاستعنت الله وعاملت وجهه فيه من غير تلبس بجراية ولا تشبث بولاية
مقتصرا على الكفاية حذرا من النقد خامل المركب معتمدا على المنساة مستمعا غلق النعل راضيا بغير النبيه
من الثوب مشفقا من موافقة الغرور هاجر الزخرف صادعا بالحق في اسواق الباطل كافا عن السخال براثن ال
ثم صرفت الفكر الى بناء الزاوية والمدرسة والتربة بكر الحسنات بهذه الخطة بل بالجزيرة فيما سلف من
المدة فتاتى بمنة الله من صلاح السلطان وعفاف الحاشية والامن ورووم الثغور وتثمير الجباية والتصاف الحماة
والمقاتلة ومقارعة الملوك المجاورة في ايثار المصلحة الدينية والصدع فوق المنابر ضمانا من السلطان بتزكية
سر النورة واصلاح بواطن الخاصة والعامة ما الله المجازي عليه والمعوض من سهر خلعته على اعطافه وجعله
الفتحة بنا جلة لا للبريد الاعفر ولا الجرد تمرح في الارسان ولا للبدر تنقل بالاكياد فهو الذي لا يضيع عمل من
عمل من ذكر او انثى سبحانه وتعالى ومع ذلك فلم اعدم الاستهداف للشرور والاستعراض للمحذور والنظر
الشزر المنبعث من خزر العيون شيمة من ابتلاه الله بسياسة الدهماء ورعاية خلطة ارزاق السماء
وقتلة الانبياء وعبدة الاهواء ممن لا يجعل الله ارادة نافذة ولا مشيئة سابقة ولا يقبل معذرة
ولا يجمل في الطلب ولا يتلبس مع الله بادب ربنا لا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا والحال الى
العهد وهو منتصف عام خمسة وستين وسبعماية ماذكر تداوله الله بحال السلامة وبغية العافية
والتمتع بالعبادة وربك يخلق ما يشاء ويختار وعلي ان اسعى وليس علي ادراك النجاح والله فينا علم غيب
نحن صايرون اليه الحفنا الله بلباس التقوى وختم لنا بالسعادة وجعلنا في الاخرة من الفائزين
نفثت عن بث وتاوهت عن حمى ليظهر بعد المنقلب قصدي ويدل مكتتبي على عقلي انتهى وجله
بلفظه وكان رحمه الله عارفا باحوال الملوك سريع الجواب حاضر الذهن حاد النادره ومن حكاياته في حضور
الجواب ما حكاه عن نفسه قال حضرت يوما بين يدي السلطان ابي عنان في بعض وفادتي عليه لغرض الرسالة
وجرى ذكر بعض امرا آير فعلت ما اعتقدته في اطراد ذلك العدو وما عرفته من فضله فانكر بعض الحاضرين
من لا يحطب الا في حبل السلطان فصرفت وجهي وقلت ايدكم الله تحقير عدو السلطان بين يديه ليس من
السياسة في شيء بل غير ذلك احق واولى فان كان السلطان غالب عدوه كان قد غلب غير حقير وهو الاولى
بفخره وجلالة قدره وان غلبه العدو لم يغلبه حقير فيكون اشد للحسرة واكد للفضيحة فوافق رحمه الله
ذلك واستحسنه وشكر عليه وخجل المعترض انتهى وكان رحمه الله مبتلى بداء الارق لا ينام من الليل الا النزر
اليسير جدا وقد قال في كتابه الوصول لحفظ الصحة في الفصول العجب مني مع تاليفي لهذا الكتاب الذي لم يولف
مثله في الطب وعلمي ذلك لا اقدر على مداواة داء الارق الذي بي او كما قال وكان يقال له ذو العمرين لان الناس
ينامون في الليل وهو ساهر فيه ومن لطائفه ما كان يصنف غالبها الا بالليل وقد سمعت بالمغرب بعض الشيوخ
يقول لسان الدين ذو الوزارتين وذو العمرين وذو الميتتين وذو القبرين انتهى وسياتي ما يعلم منه معنى
الامرين الاخيرين وقد عرف رحمه الله بالسلطان ابي الحجاج في الاحاطة فقال ما حاصله يوسف بن اسمعيل بن
فرج بن اسمعيل بن يوسف بن نصر الانصاري الخزرجي امير المسلمين بالاندلس ابو الحجاج تولى الملك بعد اخيه
بوادي السقايين من ظاهر الخضرا ضحوة يوم الاربعا ثالث عشر ذي الحجة عام ثلاثة وثلاثين وسبعماية وسنه
خمسة عشر عاما وثمانية اشهر امه ام ولد وكان له ثلاثة اولاد اكبرهم محمد امير المسلمين من بعده وتلوه اخوه
اسمعيل بمحوره وثالثهم قيس شقيق اسمعيل وذكر لسان الدين انه وزر له بعد شيخه ابن الجياب وتولى
كتابة سره مضافة الى الوزارة في اخريات شوال عام تسعة واربعين وسبعماية انتهى وقد علم انه وزر
بعده لابنه محمد كما تقدم وياتي واما اسمعيل بن ابي الحجاج فهو الذي تغلب على الامر وانتهز الفرصة في
ملك اخيه محمد كما تقدم وفيه وفي اخيه قيس حين قتل يقول لسان الدين باسمعيل ثم قيس اخيه
البيتين وذكر ايضا رحمه الله تعالى في حكاية وفاة السلطان ابي الحجاج ما حاصله انه هجم عليه رجل من عداد
الممرورين وهو في الركعة الاخيرة من صلاة عيد الفطر عام خمسة وخمسين وسبعماية فطعنه بخنجر وقبض عليه
واستفهم فتكلم بكلام مخلط واحتمل الى منزله على فوت لم يستقر به الا وقد قضى واخرج قاتله الى الناس فقتل
لحينه واحرق بالنار ودفن عشية اليوم المذكور في مقبرة قصره بجمع والده ودولي الامر ولده محمد ورثيته
في غرض ناء عن الجزالة مختار ولده • العمر نوم والمنى احلام • ماذا عسى ان يستمر منام
انحققنا نني بداة • بما تقتضي العقول تمام • والنفس تجنح في مدى امالها

وكعنا وتابي ذلك الايام • من لم يصب في نفسه فمصابه • بحبيبه نفذت بذا الاحكام
بعد الشبيبة كبرة ووراءها • هرم ومن بعد الحياة حمام • والحكمة ما اشرقت شهب الدجى
وتعاقب الاصباح والاظلام • دنياك يا هذا محلة نقلة • ومناخ ركب ما لديه مقام
هذا امير المسلمين ومن به • وجد السماح واعدم الاعدام • سر الامانة والخلافة يوسف
غيث الملوك وليثها الضرغام • تصدقه عادية الزمان فاقصدت • والعز سام والحبى لهام
فجعت به الدنيا وكدر شربها • وشكى العراق مصابه والشام • يا اسفا على الخلق الجميل كانما
بدر الدجنة قد جلاه تمام • اسفا على العمر الجديد كانه • غصن الحديقة زهره بسام
اسفا على الخلق الرضي كانه • زهر الرياض همى عليه غمام • اسفا على الوجه الذي مهما بدا
طاشت لنور جماله الافهام • يا ناصر الثغر الغريب واهله • والارض ترجف والسما قتام
يا صاحب الصدقات في جنح الدجى • والناس في فرش النعيم نيام • يا حافظ الحرم الذي بظلاله
ستر الارامل واكتسى الايتام • مولاي هل لك للقصور زيارة • بعد افتراح الدار او المام
مولاي هل لك للعبيد تذكر • حاشاك ان ينسى لديك ذمام • يا واحد الاحاد والعلم الذي
خفقت بعزة نصره الاعلام • وافاك امر الله حين تكاملت • فيك النهى والجود والاقدام
ورحلت عنا الركب خير خليفة • اثنى عليك الله والاسلام • نعم الطريق سلكت كان رفيقه
والزاد فيه تهجد وصيام • وكسفت يا شمس المحاسن ضحوة • فاليوم ليل والضياء ظلام
وسقاك عيد الفطر كاس شهادة • فيها من الاجل الوحي هدام • وختمت عمرك بالصلاة فحبذا
عمل كريم سعيه وختام • مولاي كم هذا الرقاد الى متى • بين الصفائح والتراب تنام
اعد التحية واجتنبها قربة • ان كان يمكنك الغداة كلام • تبكي عليك مصانع شيدتها
بيض كما تبكي الهديل حمام • تبكي عليك مساجد عمرتها • فالناس فيها سجد وقيام
تبكي عليك خلايق امنتها • بالسلم وهي كانها انعام • عاملت وجه الله فيما رمته
منها فلم يبعد عليك مرام • لو كنت تفدى او تجار من الردى • بذلت نفوس من لدنك كرام
لو كنت تمنع بالصوارم والقنا • ما كان دونك بالغلاب يرام • لكنه امر الاله وما لنا
الا الرضى بالحكم واستسلام • والله قد كتب الفناء على الورى • وقضاء وجفت بذا الاقلام
نم في جوار الله مسرورا بما • قدمت يوم تزلزل الاقدام • واعلم بان سليل ملكك قد غدا
في مستقر علاك وهو امام • ستر تكنف منه من خلفته • ظل ظليل فهو ليس يضام
كنت الحسام وحرت في غمد الثرى • ولنصر ملكك سل منه حسام • خلفت امة احمد لمحمد
فقضت بسعد الامة الاحكام • فهو الخليفة للورى في عهده • ترعى العهود وتوصل الارحام
الفي رسومك كلها محفوظة • لم ينتثر منها عليك نظام • العدل والشيم الكريمة والتقى
والدار والالقاب والخدام • حسبي بان اغشى ضريحك لاثما • واقول والدمع السفوح سجام
يا مدفن التقوى ويا مثوى الهدى • مني عليك تحية وسلام • اخفيت من حزني عليك وفي
نار لها بين الضلوع ضرام • ولو انني اديت حقك لم يكن • لي بعد فقدك في الوجود مقام
واذا الفتى اداه الذي في وسعه • واتى بجهد ما عليه ملام • قال لسان الدين
وكتبت في بعض معاهده • عبث فلا عين ولا مخبر • ولا انتظار منك مرقوب
يا يوسف انت لنا يوسف • وكلنا في الحزن يعقوب • انتهى ورحم الله الجميع بمنه

وقد قدمنا ما كتب به لسان الدين على لسان سلطانه الى السلطان ابي عنان في شان قتل السلطان ابي
الحجاج في الباب الثامن من القسم الاول وقال لسان الدين في كتابه اللمحة البدرية في الدولة النصرية في ذكر
ما يتعلق بخلع سلطانه وقيام اخيه عليه ولخلال ذلك ما نصه كان ابو عبد الله عند تصير الامر اليه قد
الزم اخاه اسمعيل قصرا من قصور ابيه بجواره مرفها عليه متممة وظايفه له واسكن معه اخواته منها
وقد استاثرت يوم وفاة والده بما الجم من خزاينه الكاينة في بيتها فوجدت السبيل السعي لولدها
فجعلت تواصل زيارة ابنتها التي عقد لها الوالد على ابن عم الرئيس ابي عبد الله بن الرئيس ابي الوليد بن الرئيس
ابي عبد الله المبايع له باندرش ابنا الرئيس ابي سعيد جدهم الذي جمعهم جرثومته وخمر الصهر المذكور عن ساعد
عزمه وجد وهو ما هو من الاقدام ومداخلة ذوبان الرجال واستعان بمن اسفته الدولة ووهنت به
الاطماع فتالف منهم ذهاء مايه قصدوا جهة من جهات القلعة متسمين شعاب المرتقى واتخذوا آلة
تدرك الشذوذ وفد لمعمود بيته كانت به عن التمام وكبسوا حرسيا باعلاه بما اقتضى صمائه فاستووا به ونزلوا الى
القلعة سحورا لليلة الثامنة والعشرين من شهر رمضان عام ستين وسبعماية فاستظهروا بالمشاعل والصراخ
وما لجوا دار الحاجب رضوان فغصوا اغلاقها ودخلوها فقتلوه بين اهله وولده وانتهبوا ما اشتملت عليه داره
واسرعت طايفة مع الرئيس فاستخرجت الامير المعتقل اسمعيل واركبته وقرعت الطبول ونودي بدعوته
وقد كان اخوه السلطان متحولا بولده الى سكنى الجنة المنسوبة للعريف لصق داره وهي المثل المضروب في الظل
الممدود والماء المسكوب والنسيم البليل يفصل بينها وبين معقل الملك السور المنيع والخندق المصنوع
فارتاعه الا النداء والعجيج واصوات الطبول وهب الى الدخول الى القلعة فالفاها قد اخذت دونه وتنشبها
كلها وتغابها وقذفته الحراب ورشقته السهام فرجع ادراجه وسدده الله في محل الحيرة ودس له عرق

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1